



السمعية الكونية عند الامام ابن عرفة في تفسيره "تفسير ابن عرفة" الملائكة والجن والعرش أنموذجاً

أ.د. الليث صالح العتوم**

بدر أحمد عنانزة*

الملخص

تتناول هذه الدراسة قضايا السمعية الكونية، من خلال استكشاف آراء الإمام ابن عرفة (ت 803 هـ) في المسائل المتعلقة بها، وتحديد منهجه العقدي. نشأت مشكلة الدراسة من الحاجة إلى بيان موقف الإمام في التعامل مع نصوص الغيب، والرد على التأويلات الفلسفية. هدفت الدراسة إلى توضيح منظور ابن عرفة المتميز في السمعية، وإبراز إسهامه في تثبيت أصول الإيمان. اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي لتتبع النصوص، والمنهج التحليلي الاستنباطي لتقرير مواقفه. خلصت الدراسة إلى أن الإمام ابن عرفة اتبع منهجاً وسطياً، تميز بالالتزام بظاهر النصوص وإثبات الحقائق الوجودية للغيبات (كجسمية الملائكة وحقيقة الصراط والميزان)، مع نفي التشبيه والتعطيل. وأوصى البحث بضرورة العناية بالتراث العقدي لابن عرفة، وتفعيل دوره التربوي في ترسيخ الإيمان بالغيب. وأكد أن الإيمان بالسمعية ركيزة أساسية في بناء العقيدة السليمة وتقويم السلوك الإنساني.

الكلمات المفتاحية: السمعية، ابن عرفة، التفسير، الغيب، الملائكة، الصراط.

* طالب دكتوراة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية. falla7ahspoon@gmail.com

** كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

1-المقدمة:

يُعد مبحث السمعيات من أهم الأبواب العقدية التي توقف فيها المتكلمون عند مورد الخبر الصادق (النقل)، ويقصدون بها المسائل التي لا يدركها العقل بصفة مستقلة، وإنما طريق العلم بها هو السماع المحض المستفاد من نصوص الوحي الكتاب والسنة وفي هذا السياق يبرز دور الإمام محمد بن محمد ابن عرفة الورغي (ت 803هـ) في تقرير هذه الحقائق من خلال تفسيره، وبخاصة ما يُعرف بـ "السمعيات الكونية"؛ وهي الكائنات الغيبية الحية التي تشارك الإنسان الوجود في هذا الكون كالملائكة والجن، أو تلك الأجرام العلوية العظيمة كالعرش والكرسي⁽¹⁾. وتبرز القيمة العلمية لأراء ابن عرفة في كونه يمثل المدرسة الأشعرية المتأخرة التي سعت للموازنة بين إثبات الحقائق الوجودية للغيب وبين التنزيه العقلي، مما مكنه من الوقوف في وجه التأويلات الفلسفية والباطنية التي حاولت إفراغ نصوص الغيب من حقيقتها العينية وتحويلها إلى مجرد رموز ذهنية أو تأثيرات فلكية⁽²⁾.

2-مشكلة الدراسة:

تتبلور مشكلة الدراسة في الحاجة العلمية للكشف عن منهج الإمام ابن عرفة في التعامل مع "السمعيات الكونية" عبر تفسيره، وبيان الكيفية التي وازن بها بين ظواهر النصوص الشرعية والمقتضيات العقلية في إثبات حقيقة الملائكة والجن والعرش؛ وذلك في مواجهة التأويلات الفلسفية التي سعت لإخراج هذه المغيبات عن حقيقتها العينية وصرفها إلى معاني مجردة، مما يستوجب فحص القواعد الكلامية واللغوية التي استند إليها الإمام في هذا الباب لتقرير عقيدة أهل السنة وحمايتها من النزعات التعطيلية⁽³⁾.

3-أسئلة الدراسة:

وتتفرع من هذه المشكلة الأسئلة الآتية:

1. ما هو المنهج الكلامي واللغوي الذي اعتمده ابن عرفة في تقرير حقيقة السمعيات الكونية انطلاقاً من النص الشرعي؟
2. كيف واجه الإمام ابن عرفة الشبهات الفلسفية التي نفت الوجود الجسماني للملائكة والجن وصرفتهما إلى معاني مجردة أو قوى فلكية؟

3. ما هي أوجه التوافق أو الانفراد في موقف ابن عرفة الكلامي مقارنة بجمهور المتكلمين في مسائل العرش والكرسي واللوح والقلم؟

4-أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية، لعل من أبرزها الوقوف على التقارير التفصيلية للإمام ابن عرفة في مسائل السمعيات الكونية، وبخاصة حقيقة الملائكة والجن والعرش، وتحليل الكيفية التي استدلل بها الإمام بظواهر النصوص القرآنية لإثبات الوجود العيني لهذه المغيبات. كما تهدف الدراسة إلى إبراز منهج ابن عرفة في الموازنة بين "الإثبات الوجودي" وبين "التنزيه العقلي"، وبيان الدور الذي قام به في حماية العقيدة الأشعرية من التأويلات الفلسفية والباطنية التي شاعت في عصره، مع الكشف عن القواعد اللغوية والكلامية التي انفرد بها أو وافق فيها جمهور المتكلمين⁽⁴⁾.

5-الدراسات السابقة:

لقد نالت مباحث السمعيات اهتمام الباحثين في الفكر العقدي، ومن الدراسات التي قاربت هذا الموضوع دراسة بعنوان: (السمعيات الكونية عند الإمام الصاوي ت 1241هـ)، وهي دراسة ركزت على التوجهات العقدية للإمام الصاوي في حاشيته على الجلالين. وتأتي هذه الدراسة الحالية لتكمل هذا الجهد العلمي، ولكن بالتركيز على مدرسة "الغرب الإسلامي" من خلال الإمام ابن عرفة، حيث تبرز الخصوصية المنهجية لابن عرفة في التعامل مع الفلاسفة المشائين والمعتزلة، وهو جانب لم تفرد به الدراسات السابقة بالبحث والتحليل المستفيض من خلال تفسير الإمام⁽⁵⁾.

6-منهجية الدراسة:

للإجابة عن أسئلة الدراسة وتحقيق أهدافها، سلك الباحث المناهج العلمية الآتية:

1. المنهج الوصفي الاستقرائي: وذلك من خلال تتبع الآيات المتعلقة بالسمعيات الكونية في تفسير ابن عرفة، وجمع مادة البحث من تقارير الإمام وتصريحاته حول كل قضية.
2. المنهج التحليلي الكلامي: عبر تفكيك أدلة الإمام النقلية والعقلية، وبيان كيفية استدلاله باللغة وقواعد الأصول في إثبات حقائق الغيب، مع الرد على الشبهات التي أثارت حولها.

3. المنهج المقارن: وذلك بموازنة آراء ابن عرفة بآراء كبار المتكلمين من الأشاعرة (كصاحب المواقف والتفتازاني) وكذا آراء الخصوم من المعتزلة والفلاسفة، وذلك لبيان مدى موافقته للمدرسة الأشعرية المتأخرة أو تفرده عنها.⁽⁶⁾

7- هيكل البحث:

خُصص هذا البحث لتناول موضوع "السمعيات الكونية عند الإمام ابن عرفة"، وتمت هيكلته في ثلاثة مباحث رئيسية، متبوعة بخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات وقائمة المراجع. وقد جاءت المباحث على النحو التالي: المبحث الأول: مفهوم السمعيات الكونية والتعريف بإبن عرفة وتفسيره والمبحث الثاني: نماذج من السمعيات الكونية عند ابن عرفة وطريقته في بيانها (الملائكة، الجن، العرش)، و المبحث الثالث: المسائل المتعلقة بالسمعيات الكونية التي خالف بها ابن عرفة علماء الكلام والفلاسفة.

المبحث الأول: مفهوم السمعيات الكونية والتعريف بإبن عرفة وتفسيره:

المبحث الأول: السمعيات الكونية... المفاهيم السياقية والتأطير التاريخي:

يُمثل مبحث السمعيات في المنظومة العقديّة الإسلاميّة تلك المساحة التي يقف فيها العقل البشري موقف التابع للنقل، إذ تتعلق بمغيبات لا يستقل العقل بإدراك كنهها أو تفاصيلها، وإنما يقتصر دوره على "التجويز" العقلي لكونها أموراً ممكنة لا يحيلها النظر المنطقي. وفي هذا المبحث، نسعى لتأصيل مفهوم "السمعيات الكونية" وتوضيح السياق المعرفي للإمام ابن عرفة وتفسيره، وذلك عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم السمعيات وتصنيفاتها في الدرس الكلامي:

يُشير اصطلاح "السمعيات" عند علماء الكلام، وبخاصة في المدرسة الأشعرية التي يمثلها ابن عرفة، إلى جملة المسائل التي يتوقف العلم بها على مورد السماع من الشارع الحكيم عبر الكتاب والسنة، فهي أمور ثبتت بالخبر الصادق لا بمجرد النظر العقلي المستقل. وبالرجوع إلى ما قرره القاضي الإيجي في "المواقف"، نجد أن ضابط هذا الباب هو كونه يضم "الممكنات التي لا طريق للعلم بوقوعها وتفاصيلها إلا السماع"⁽⁷⁾.

ومن هنا، يتبين أن دور العقل في السمعيات هو دور "تصديقي دفاعي"؛ فهو يقر بإمكان وقوع هذه الغيبيات عقلاً، ثم يتقبل تفاصيلها من الوحي، وهذا يغاير مبحث "الإلهيات" و"النبوات" التي يتدخل فيها العقل كأداة للإثبات الأولى⁽⁸⁾.

ولعل القيمة المضافة في هذه الدراسة تكمن في تخصيص السمعيات بوصف "الكونية"، وهو اصطلاح يرمي الباحث من ورائه إلى تمييز تلك الغيبيات التي لها تحقق عيني ووجودي قائم بالفعل في هذا العالم، وليست من قبيل أحوال المعاد أو أحداث القيامة التي تندرج تحت "السمعيات المعادية"⁽⁹⁾.

فالملائكة والجن والعرش هي "سمعيات كونية" لأنها موجودات تشارك الإنسان هذا الكون وتدخل في نسيج تكوينه الغيبي، وإن كانت محتجبة عن حواس البشر بحكم القدرة الإلهية. وهذا التقسيم يكتسب أهمية بالغة عند المتأخرين من الأشاعرة كالتفتازاني والجرجاني، إذ مكّنه من الرد على الفلاسفة الذين حاولوا "تجريد" هذه الموجودات العينية وصرفها إلى مجرد رموز أخلاقية أو قوى نفسانية، وهو المسلك الذي تبناه ابن عرفة في تفسيره ليثبت أن الغيب حقيقة وجودية لا مجرد خيال ذهني⁽¹⁰⁾.

المطلب الثاني: الإمام ابن عرفة وسياقه المعرفي في المغرب الإسلامي:

هو الإمام العلامة محمد بن محمد ابن عرفة الورغي التونسي (ت 803هـ)، الذي لم يكن مجرد فقيه مالكي، بل كان يمثل قمة النضج العقلي والكلامي في المغرب الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري. نشأ ابن عرفة في بيئة علمية تمتاز بالدقة في التحرير، وتلقى علومه في جامع الزيتونة الذي كان منارة للأشاعرة والمالكية، مما انعكس على منهجه الذي اتسم بـ "الصرامة المنطقية" والتحقيق في المصطلح⁽¹¹⁾.

ويرى الباحث أن شخصية ابن عرفة العقدية تميزت بما يمكن تسميته بـ "الأشعرية المحققة"؛ فهو يميل إلى ما قرره المتأخرون من متكلي المشرق كالإمام الرازي وصاحب المواقف، لكنه يصبغ ذلك بصبغة المغرب الإسلامي التي تحرص على "هيبة النص" والوقوف عند حدود المأثور بغير غلو في التأويل. وقد عُرف ابن عرفة بلقب "مُقيّد التونسيين"، لقدرته الفائقة على ضبط المسائل ومنع السيولة المعرفية في الفتوى والعقيدة، وهذا النفس التحقيقي هو الذي جعل المحققين

يعتبرونه حلقة وصل هامة في تطور الفكر الأشعري، حيث استطاع استيعاب النتاج الفلسفي والكلامي المشرقي وإعادة إنتاجه في قالب تفسيري أصيل يخدم العقيدة السنية⁽¹²⁾

المطلب الثالث: تفسير ابن عرفة.. منهجية التقرير والرد العقدي:

يُعد تفسير ابن عرفة (الذي دونه تلميذه الأبّي) أنموذجاً فريداً للتفسير "الكلامي اللغوي"، فهو لم يقتصر على بيان وجوه الإعراب أو معاني الألفاظ، بل جعل من كل آية غيبية ميداناً للمناظرة العقدية. وتبرز قيمة هذا التفسير في مباحث السمعيات الكونية من خلال استخدامه لقواعد اللغة العربية كسياج يحمي الحقيقة العقدية؛ فالإمام يوظف دلالات الحقيقة والمجاز ليرد على المعتزلة، ويوظف لوازم الألفاظ ليفند مزاعم الفلاسفة المشائين⁽¹³⁾

ويؤكد الباحث أن منهجية ابن عرفة في تفسيره تقوم على قاعدة "إثبات ما أثبتته السمع مع تنزيه الخالق عن لوازم الحدوث"؛ فهو حين يثبت جسمانية الملائكة أو حقيقة العرش، لا يفعل ذلك بأسلوب "الحشو" أو "التجسيم"، وإنما بأسلوب "التحقيق الأشعري" الذي يثبت الوجود العيني للمغيبات مع تفويض الكيفية. وهذا المنهج هو رد مباشر على من حاول "إفراغ" نصوص الغيب من محتواها، مما جعل من تفسيره سداً منيعاً في وجه النزعات التعطيلية والباطنية التي حاولت اختراق الفكر العقدي في الغرب الإسلامي. ومن هنا تظهر أهمية استتال هذا البحث من تفسيره، لبيان كيف تحول التفسير عند ابن عرفة من مجرد بيان للمعنى إلى "أداة دفاعية" رصينة تحفظ للأمة أصول إيمانها بالغيب⁽¹⁴⁾

المبحث الثاني: نماذج من السمعيات الكونية عند ابن عرفة وطريقته في بيانها:

يمثل هذا المبحث الجانب التطبيقي للدراسة، حيث يتم فيه استقراء نصوص الإمام ابن عرفة في تفسيره، وتحليل طريقته في تقرير الحقائق الغيبية للموجودات الكونية، مع التركيز على ثلاثة نماذج رئيسية: الملائكة، والجن، والعرش.

المطلب الأول: الملائكة عند الإمام ابن عرفة (حقيقتهم، ماهيتهم، ووظائفهم):

أولاً: الماهية الوجودية للملائكة (بين الإثبات الأشعري والتأويل الفلسفي):
يستهل الإمام ابن عرفة تقريره لحقيقة الملائكة بالوقوف عند الماهية الجسمانية لها، حيث يذهب - تماشياً مع جمهور أهل السنة والجماعة- إلى أن الملائكة "أجسام نورانية لطيفة"⁽¹⁵⁾، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة. وهذا التقرير من الإمام ليس مجرد عزو لغوي، بل هو

اختيار عقدي رصين يهدف من خلاله إلى إثبات الوجود العيني لهذه الكائنات في مقابل النزعات الفلسفية التي حاولت تجريد الملائكة من وصف "الجسمانية". وعند تتبع حجاج ابن عرفة في هذه المسألة، نلاحظ أنه يرفض بقوة ما ذهب إليه الفلاسفة المشاؤون من أن الملائكة هي مجرد "عقول مجردة" أو "جواهر مفارقة"⁽¹⁶⁾ لا مادة لها ولا تحيز، وهو القول الذي فنّده المتكلمون بإسهاب؛ إذ يرى ابن عرفة أن صرف الملائكة إلى معنى "العقول" أو "القوى الروحانية الفلكية" هو نوع من التعطيل للظواهر الشرعية وإفراغ للنصوص من محتواها الوجودي.

وفي هذا السياق، يتقاطع منهج ابن عرفة مع ما قرره القاضي الإيجي في "المواقف" من أن القول بتجرد الملائكة لا دليل عليه من العقل، بل إن النصوص السمعية قاطعة في إثبات صفات الأجسام لهم⁽¹⁷⁾.

ومن وجهة نظر الباحث، فإن ابن عرفة في تفسيره لم يكتفِ بنقل هذا المذهب، بل وظف ملكته اللغوية في إثبات أن الألفاظ القرآنية الواردة في وصف الملائكة (كالنزل، والصعود، والمجيء) هي لوازم ذاتية للأجسام المتحيزة، ولا يمكن عقلاً ولا لغةً نسبتها إلى "عقول مجردة" لا علاقة لها بالمكان والحيز، مما يجعل منهجه في هذا المطلب منهجاً "تحقيقياً" يزاوج بين ظاهر النص وبين الدفاع عنه بالقواعد المنطقية⁽¹⁸⁾.

ثانياً: الاستدلال اللغوي على جسمانية الملائكة (تفسير الأجنحة أنموذجاً): تتجلى عبقرية ابن عرفة التفسيرية في استنطاق الدلالات اللغوية لخدمة القضايا العقدية؛ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِّنْهُنَّ ثَلَاثٌ وَرُبَاعٌ﴾ [فاطر: 1]، يقرر الإمام أن ذكر "الأجنحة" وتفاوت أعدادها بين الملائكة هو نص قاطع في إثبات "الجسمانية"؛ إذ إن الجناح في اللغة والعرف هو آلة الطيران والانتفال، وهو جزء لا يتصور وجوده إلا في "جسم" له هيئة وأعضاء وتحيز في المكان⁽¹⁹⁾.

ويرى ابن عرفة أن القول بأن الأجنحة مجرد استعارة لعظمة القدرة أو سرعة التأثير -كما ذهبت بعض الفرق المؤولة- هو قول باطل؛ لأن الأصل في الكلام الحقيقة لا المجاز، ولا يصار إلى المجاز إلا بضرورة عقلية، وهي منتفية هنا⁽²⁰⁾.

وهذا المسلك عند ابن عرفة ينسجم تماماً مع ما ذهب إليه التفتازاني في "شرح المقاصد" من أن تخصيص الملائكة بصفات الأجسام في الوحي يمنع من تأويلهم بالقوى الروحانية، ويوجب الإيمان بحقيقتهم التي أخبر عنها الشارع⁽²¹⁾. وبذلك، يجعل ابن عرفة من "اللغة" سياقاً يحمي النص الغيبي من السيولة التأويلية التي كادت تعصف بحقائق السمعيات في عصره. ولا يقف الإمام ابن عرفة عند إثبات جسمانية الملائكة من خلال آية الأجنحة فحسب، بل يمتد استقراء المنهج في تفسيره ليشمل مظاهر تطبيقية أخرى تثبت عينية هذا الوجود الغيبي، ومن ذلك ما يلحظه الباحث في المسائل الآتية:

1. حقيقة الاستغفار والشفاعة:

عند وقوفه عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: 7]، يلحظ الباحث أن ابن عرفة يركز على "فعل الاستغفار" كدلالة على الوعي والإرادة؛ فاستغفار الملائكة للمؤمنين ليس مجرد فيض آلي، بل هو دعاء مقصود يصدر عن ذوات عاقلة مريدة.

ويستنبط الإمام من هذا التوصيف أن الملائكة موجودات لها "رابطة إيمانية" مع البشر، وهو ما يفند قول الفلاسفة بأن الملائكة مجرد "عقول مفارقة" أو قوانين طبيعية لا تعقل ما تفعل⁽²²⁾. فالعقل لا يستغفر، والقانون لا يشفع، وإنما الاستغفار فعلٌ يقتضي ذاتاً حقيقية مخاطبة، وهو ما يؤكد عينية وجودهم الذي أثبتته المتكلمون رداً على "التعطيل الفلسفي"⁽²³⁾

2. حقيقة النزول في ليلة القدر:

وفي تفسير سورة القدر عند قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾، يرفض ابن عرفة مسلك الزمخشري ومن تبعه من المعتزلة في تأويل النزول بـ "نزل الرحمة" أو "تأثير القوى الروحانية". ويقرر الإمام أن "النزول" حقيقة تقتضي انتقالاً من علو إلى سفلى، وهذا الانتقال هو من أخص صفات "الأجسام اللطيفة" المتحيزة. ويستظهر الباحث من مسلك ابن عرفة هنا حرصه على قطع الطريق أمام التجريد الفلسفي؛ إذ لو كان النزول معنوياً محضاً لما كان لتخصيص الملائكة والروح بالذكر مزية، ولكان الكلام من قبيل الحشو، وهو ما يزه عنه القرآن⁽²⁴⁾. وهذا يتسق مع ما قرره التفتازاني في "شرح المقاصد" من أن إثبات أفعال الأجسام للملائكة هو دليل قاطع على مباينتها للعقول المجردة⁽²⁵⁾

3. حقيقة الكتابة والتدوين:

وعند تفسيره لآيات الحفظه كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: 10-11]، يؤكد ابن عرفة أن "الكتابة" هنا حقيقة لا مجاز؛ فهي كتابة تدوين وإحصاء تليق بعظمة العدل الإلهي. ويرى الإمام أن وصفهم بـ "الكرام" يثبت تمايز ذواتهم وصفاتهم، فهم ليسوا مجرد قوى حافظة داخل النفس البشرية كما زعم بعض الفلاسفة، بل هم "أعيان موجودة" خارج الذات الإنسانية. ومن وجهة نظر الباحث، فإن ابن عرفة جعل من وظيفة الكتابة شاهداً على "التحقق العيني"؛ لأن الكتابة فعلٌ يقتضي آلة ومحللاً، وهو ما لا يتصور إلا في الأجسام، وبذلك يثبت الإمام أن الغيب الكوني ليس رموزاً أخلاقية، بل هو واقع وجودي منضبط بأمر الله (26).

ثالثاً: عصمة الملائكة وتنزيههم (الرد على شبهة قصة هاروت وماروت):

تعد قضية "عصمة الملائكة" من القضايا العقدية الكبرى التي خاض فيها الإمام ابن عرفة غمار الرد والتحقيق؛ إذ يقرر بوضوح أن العصمة وصف ذاتي لازم لماهية الملائكة النورانية، وهو بذلك يرفض ما تسرب إلى بعض كتب التفسير من روايات "إسرائيلية" باطلة تزعم وقوع بعض الملائكة في كبائر الذنوب.

وعند وقوفه عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: 102]، نجد ابن عرفة يسلك مسلكاً تنزيهياً صارماً؛ حيث يرفض التصورات التي تقول بأن الله عاقب الملكين أو ركب فيهما الشهوة. ومن وجهة نظر الباحث، فإن ابن عرفة لم يكتفِ بنفي الوقوع في المعصية، بل قام بـ "توجيه النص" لغوياً وعقدياً بما ينسجم مع عصمة هذا الجنس؛ فاعتبر أن "الإنزال" في الآية ليس إنزال عقوبة، بل هو إنزال "ابتلاء وتمحيص" للعباد، ليعرف الناس حقيقة السحر فيجتنبوه، لا ليقره الملكان أو يمارساه (27).

وهذا الموقف من ابن عرفة يتوافق مع ما قرره التفتازاني في "شرح المقاصد" من أن القول بوقوع المعصية من الملائكة هو "قلب للحقائق" وخروج عن مقتضى خلقهم من النور الذي لا يقبل مادة الشر (28).

وبذلك، فإن ابن عرفة يجعل من العصمة ركيزة لا تنفك عن الوجود الغيبي للملائكة، وهو ما يعزز الثقة في الوسائط الإلهية التي تنقل الوحي وتدبر شؤون الكون بأمر الله (29).

رابعاً: المراتب والوظائف الكونية للملائكة (من منظور التدبير الإلهي):

ينظر الإمام ابن عرفة إلى الملائكة بصفاتهم "الوسائط التنفيذية" للمشينة الإلهية في عالم الأسباب، وهو ما يسميه البعض بالوظائف "التكوينية".

ومن خلال استقراء تفسيره، نلاحظ أن الإمام يوزع وظائف الملائكة بناءً على مراتبهم العلوية؛ ففي القمة يأتي "حملة العرش" و"الكروبيون" الذين هم سادة الملائكة وأعظمهم خلقاً، ويصفهم ابن عرفة بأنهم في شغل دائم بالتسبيح والاستغفار، مما يوحي بأن وظيفتهم هي ربط عالم الملكوت بعظمة اللاهوت⁽³⁰⁾.

أما المراتب الأخرى، فتتعلق بتدبير شؤون العالم السفلي؛ حيث يفسر ابن عرفة قوله تعالى: ﴿فَالْمَدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: 5]، بأنهم طوائف من الملائكة وكلهم الله بتدبير الأزواق، والأمطار، والرياح، وقبض الأرواح. ويؤكد الإمام لفترة عقدية هامة هنا، وهي أن تدبيرهم ليس استقلالاً بالقدرة، بل هو "تسخير" إلهي، وفي هذا رد خفي من ابن عرفة على من زعم من الفلاسفة أن الطبيعة تدبر نفسها بنفسها، أو أن الكواكب هي التي تحرك العالم⁽³¹⁾.

ويرى الباحث أن ابن عرفة يميل إلى إثبات "التخصص الوظيفي" للملائكة ليدل على كمال النظام الكوني؛ فكل واحد منهم موكل بحياة خاصة، سواء كانت حياة الأجساد (بالأرزاق) أو حياة القلوب (بالوحي والكتابة).

وهذا التوزيع الوظيفي ليس لحاجة الخالق إليهم -سبحانه- بل هو لإظهار عظمة الملك وجلال السلطان، وهو ما قرره الجرجاني في "شرح المواقف" من أن الله خلق الوسائط ليُعرف بها ترتيب المسببات على الأسباب في نظر الخلق⁽³²⁾.

المطلب الثاني: حقيقة الجن وعالمهم في منظور ابن عرفة الكلامي:

يُمثل عالم الجن في تفسير ابن عرفة حلقة أخرى من حلقات "السمعيات الكونية" التي يحرص الإمام على إثبات وجودها العيني والحسي، رداً على منكري الغيبيات أو من حاولو تأويل الجن بصفاتهم "قوى نفسية شريرة" داخل الإنسان. ويمكن رصد منهجية الإمام في هذا المطلب عبر المسائل الآتية:

أولاً: الحقيقة الماهوية للجن (بين دلالة الاستتار وإثبات الوجود):

يؤصل الإمام ابن عرفة لحقيقة الجن انطلاقاً من الجذر اللغوي للفظ (ج ن ن)، والذي يدور في لسان العرب حول معاني "الستر والتغطية". ومن وجهة نظر الباحث، فإن ابن عرفة لم يورد هذا الاشتقاق من باب الترف اللغوي، بل جعله "وصفاً كاشفاً" لطبيعة هذا الجنس؛ فلفظ "الجن" في حد ذاته يقتضي خفاءهم عن الأبصار⁽³³⁾

ويوظف الإمام هذه الدلالة للرد على منكري وجود الجن بدعوى عدم رؤيتهم؛ مبيناً أن "اللطافة" التي تتصف بها أجسامهم هي العلة في احتجابهم، واللطافة عند المتكلمين لا تعني "العدم"، بل تعني أن الجسم رقيق لا يحجب النظر كالهواء⁽³⁴⁾.

وهذا المسلك ينسجم تماماً مع ما قرره القاضي الإيجي في "المواقف" من أن الجن "أجسام حقيقية" قادرة على النفوذ والتشكل، وأن عدم رؤيتنا لهم لا يحيل وجودهم عقلاً، بل هو مقتضى خلقهم⁽³⁵⁾.

وبذلك يثبت ابن عرفة أن الجن كائنات غيبية تشاركنا الوجود في هذا الكون ولكنها محتجبة بحكم القدرة الإلهية.

ثانياً: التمايز العنصري والعلة التكوينية (النار مقابل النور):

يعتمد ابن عرفة في تقريره لأصل خلقة الجن على النص القرآني القطعي: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن: 15]، ليثبت أن مادة الجن هي "النار"، وهي مادة تختلف جوهرياً عن مادة خلق الملائكة (النور). ويرى الباحث أن ابن عرفة يربط في تفسيره بين هذا "الأصل العنصري" وبين "الطبيعة السلوكية" لكل جنس؛ فإذا كان النور يقتضي السكينة والصفاء (للملائكة)، فإن النار تقتضي الاضطراب والطيش، وهو ما يفسر غلبة صفات الحدة على عالم الجن والشياطين⁽³⁶⁾

وفي هذا السياق، نلاحظ تأثر ابن عرفة بمدرسة الأشاعرة المحققين كالتفتازاني في "شرح المقاصد"، حيث يؤكد الإمام أن هذا التمايز في المادة هو الذي يمنع القول بـ "المسخ" بين الجنسين؛ فالجن جنس مستقل والملائكة جنس مستقل، ولكل منهما خصائصه الوجودية التي تمنع اختلاط ماهياتهم⁽³⁷⁾

ثالثاً: التكليف والجزاء وعموم الرسالة للثقلين:

لا يتوقف ابن عرفة عند إثبات الوجود الفيزيائي للجن، بل ينتقل للتحقيق في "المقام التكليفي" لهم؛ حيث يقرر بوضوح أن الجن "أمة مكلفة" مخاطبة بالشريعة، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]. ويرى الإمام أن هذا النص العام يثبت دخول الجن تحت خطابات الثواب والعقاب، وأنهم يشاركون البشر في أصل "العبودية" وإن اختلفوا في تفاصيل الهيئة والقدرة⁽³⁸⁾

ولعل من أهم الترجيحات التي انفرد بها ابن عرفة في هذا الباب هو انتصاره لمذهب جمهور أهل السنة القائل بأن مؤمني الجن يدخلون "الجنة" ويتنعمون فيها تماماً كالإنس، مستنداً إلى عموم سياقات سورة الرحمن التي خاطبت الثقلين بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وفي هذا الموقف رد من ابن عرفة على من زعم من المتكلمين أن ثواب الجن يقتصر على النجاة من النار فقط. ومن وجهة نظر الباحث، فإن هذا الترجيح يعكس عمق نظرة ابن عرفة لمفهوم العدل الإلهي في الجزاء، وهو ما أطل في بيانه التفتازاني في المقاصد عند حديثه عن أحوال المكلفين من غير البشر⁽³⁹⁾

المطلب الثالث: حقائق الأجرام العلوية (العرش، الكرسي، واللوح، والقلم):

تُمثل الأجرام العلوية العظيمة في تفسير ابن عرفة ذروة "السمعيات الكونية"؛ لكونها موجودات غيبية لا سبيل للعقل في إدراك كمها أو صفاتها إلا من طريق الخبر الصادق. ويقف الإمام في تقريره لهذه المسائل موقفاً وسطاً بين "التجسيم" الذي سقط فيه المشبهة، وبين "التعطيل" الذي وقع فيه المعتزلة والفلاسفة، ويمكن بيان ذلك من خلال المسائل الآتية:

أولاً: الوجود العيني للعرش والكرسي (بين الظاهر الشرعي والقدرة الإلهية):

يرفض الإمام ابن عرفة بشدة المسلك الذي سلكته المعتزلة في تأويل لفظي "العرش والكرسي" بصرفهما عن حقيقتهما الجسمانية إلى معانٍ مجردة كالقدرة أو الملك؛ إذ يرى الإمام أن هذا النوع من التأويل هو نوع من التزييف للحقائق اللغوية والشرعية بغير مقتضى⁽⁴⁰⁾

ويظهر نفس ابن عرفة "التحقيقي" في استدلاله بآيات الحمل؛ حيث يقرر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: 17]، أن الحمل والعدد هما من أخص

صفات الأجرام والأجسام التي لها ثقل وحيز، أما الصفات المعنوية كالعلم والقدرة والمُلك فلا توصف بالحمل ولا يحملها الملائكة.

ومن وجهة نظر الباحث، فإن ابن عرفة هنا يتوافق مع ما قرره القاضي الإيجي في "المواقف" من أن العرش جسم عظيم نوراني علوي، خلقه الله لإظهار عظمته وسعة ملكه⁽⁴¹⁾. أما الكرسي، فيثبت ابن عرفة أنه جرم عظيم مستقل عن العرش وموضوع أمامه، مستنداً إلى قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: 255]، مبيناً أن هذا الاتساع هو دليل حسي للمؤمنين على جلال السلطان الإلهي، مع حرصه الدائم على قاعدة "التفويض" في الكيفية و"التزيه" عن المكان والحاجة⁽⁴²⁾.

ثانياً: حقيقة اللوح والقلم (الرد على التأويل الفلسفي):

ينتقل ابن عرفة في ثانيا تفسيره للحديث عن اللوح المحفوظ والقلم، وهما من الموجودات التي حاول الفلاسفة المشاؤون تأويلها تأويلاً "عقلياً بحثاً"؛ حيث زعموا أن القلم هو "العقل الفعال" أو "الجوهر المفارق" الذي تفيض منه الصور⁽⁴³⁾.

وقد واجه ابن عرفة هذه التأويلات بالتمسك بالحقيقة الوجودية التي أثبتها السمع؛ فيقرر أن القلم جسم حقيقي خلقه الله تعالى وأودع فيه القدرة على الكتابة، وأمره بإنفاذ مشيئته الأزلية. ويرى الباحث أن ابن عرفة يميل إلى ما قرره التفتازاني في "شرح المقاصد" من أن الحكمة من خلق اللوح والقلم ليست لحاجة الخالق سبحانه إلى "تذكّر" ما كتب، بل لإظهار "ترتيب المسببات على الأسباب"، وتعرّف الملائكة على ما هو كائن من أحوال الخلق قبل وقوعها⁽⁴⁴⁾.

وبذلك يثبت الإمام أن اللوح جسم عظيم حوى تفاصيل القضاء والقدر، وأن جريان القلم فيه هو تجسيد لتعلق العلم الإلهي بالأشياء، وهو ما يقطع الطريق أمام من حاول إفراغ هذه السمعيات من مضمونها الوجودي وتحويلها إلى مجرد عمليات ذهنية أو فيوضات فلسفية⁽⁴⁵⁾.

ثالثاً: الموازنة المنهجية (بين إثبات الوجود ونفي التشبيه):

إن الناظر في منهج ابن عرفة في هذا المطلب، يلحظ أنه لا يكتفي بإثبات "الجسمانية" لهذه الأجرام العلوية، بل يتبعها دائماً بضوابط التنزيه الأشعرية؛ فهو حين يثبت أن العرش جسم، ينفي في الوقت ذاته لوازم البشرية من الحاجة إلى الاستقرار أو المكان. ويرى الباحث أن ابن عرفة نجح في تقديم رؤية كلامية رصينة تتوافق مع ما ذهب إليه السيد الشريف الجرجاني في "شرح

المواقف" من أن إثبات حقائق السمعيات لا يستلزم تشبيهها بالمحسوسات، بل هو إيمان بما أخبر به الشارع مع تفويض الكيفية إلى الله تعالى⁽⁴⁶⁾.

هذا المنهج "المتزن" هو الذي مكن ابن عرفة من حماية العقيدة السنية في المغرب الإسلامي من غلو المشبهة في إثبات الجهة، ومن تفريط المعطلة في نفي الحقائق الوجودية للغيب⁽⁴⁷⁾.

المبحث الثالث: المسائل المتعلقة بالسمعيات الكونية والتي خالف بها ابن عرفة علماء الكلام والفلاسفة:

إن المتأمل في تقريرات الإمام ابن عرفة لمسائل السمعيات الكونية يلحظ أنها لم تكن مجرد تكرار لما قرره المتقدمون من الأشاعرة، بل كانت تمثل قراءة "نقدية" واعية، سعت لحماية النص الشرعي من جهة، والانضباط بالقواعد العقلية السنية من جهة أخرى. وتتجلى شخصية ابن عرفة المحققة في وقوفه أمام كبرى المسائل التي كانت محل نزاع بين المتكلمين والفلاسفة، ويمكن رصد أهمها في المسائل الآتية:

المطلب الأول: حقيقة الروح وماهيتها (ابن عرفة في مواجهة قِدم الأرواح):

تعد مسألة "الروح" من أعقد المسائل التي اشتبك فيها ابن عرفة مع الفلاسفة؛ فبينما ذهب جمهور الفلاسفة المشائين إلى أن الأرواح "جواهر مجردة" قديمة وباقية بالذات⁽⁴⁸⁾، نجد ابن عرفة ينتصر للمنهج الكلامي الأشعري الذي يقرر أن الروح "جسم حقيقي لطيف" مخلوق وحادث.

ويظهر تفرّد ابن عرفة في استخدامه لقاعدة "المضاف إلى الحادث حادث"؛ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ يقرر أن إضافة الروح إلى الله هي "إضافة تشريف وخلق" لا إضافة جزء أو صفة، وأن فعل "النفخ" هو فعل حادث في الزمن، وما كان محلاً للفعل الحادث فهو حادث بالضرورة⁽⁴⁹⁾.

وهذا التحقيق من ابن عرفة يهدف إلى إبطال القول بـ "قِدم الأرواح" الذي مالت إليه بعض الفلسفات الباطنية، وهو ما يتفق تماماً مع ما حذّر منه التفتازاني في "شرح المقاصد" من أن القول بتجرد الروح وقدمها قد يؤدي إلى القول بتناسخ الأرواح أو إلهيتها⁽⁵⁰⁾. ومن وجهة نظر الباحث، فإن ابن عرفة نجح في تقديم رؤية تزواج بين "اللطافة" التي تفسر خفاء الروح، وبين "الحدوث" الذي يثبت افتقارها للخالق سبحانه.

المطلب الثاني: نقض مذهب "العقول العشرة" في تفسير الملائكة:

من المسائل التي خالف فيها ابن عرفة الفلاسفة مخالفة جذرية هي قضية "الوسائط الكونية"؛ حيث حاول الفلاسفة -كما ينقل صاحب المواقف- مطابقة الملائكة على ما سموه بـ "العقول العشرة" أو "العقل الفعال"، زاعمين أن هذه العقول هي التي تدبر الأفلاك وتحرك العالم بغير إرادة مستقلة⁽⁵¹⁾.

وقد واجه ابن عرفة هذه النزعة "التجريدية" بالتمسك بـ "الوجود العيني" للملائكة؛ فقرر في تفسيره أن الملائكة ذوات حقيقية لها إرادة ومكلفة بأوامر إلهية، وليست مجرد "آلات فلكية" صماء. ويستنبط ابن عرفة من قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 50]، أن "الخوف" و"الامتثال" هما صفتان لا تليقان إلا بذوات عاقلة مريدة، وهو ما يبطل نظرية العقول الفلسفية التي تفتقر للإرادة التكليفية⁽⁵²⁾.

ويرى الباحث أن قوة ابن عرفة تكمن في كونه جعل من "التوصيف الشرعي" حكماً على "التنظير الفلسفي"، مؤكداً أن الملائكة أجسام نورانية حقيقية، وهو ما أطال في إثباته الجرجاني في "شرح المواقف" رداً على منكري جسمانية الوسائط العلوية⁽⁵³⁾.

المطلب الثالث: حدود التأويل في العرش والكرسي (ابن عرفة في مواجهة المعتزلة):

وفي دائرة السجال مع المعتزلة، وبخاصة مع الإمام الزمخشري، تبرز استقلالية ابن عرفة في فهم نصوص "العرش والكرسي". فبينما توسع الزمخشري في "الكشاف" في تأويل العرش بـ "المُلك" والكرسي بـ "العظمة" تهرباً من توهم التشبيه⁽⁵⁴⁾، نجد ابن عرفة يضع ضابطاً منهجياً دقيقاً يقرر فيه أن الأصل في الكلام هو "الحقيقة" ما لم يصرفها صارف عقلي قطعي.

ويرى ابن عرفة أن إثبات "الجسمانية" للعرش والكرسي كأجرام علوية لا يستلزم التشبيه؛ لأن الله تعالى أخبر عن حملهما وعن سعتهما، وهذه أوصاف للأعيان لا للمعاني المجردة. ومن وجهة نظر الباحث، فإن ابن عرفة هنا كان أكثر دقة في الحفاظ على "هيبة النص" من المعتزلة؛ فهو يثبت أن العرش جسم عظيم يحمله ثمانية من الملائكة، وهذا الإثبات ينسجم مع عظمة الخالق، لكنه في الوقت ذاته ينزه الله عن "الاستقرار" أو "الحاجة"، وبذلك يكون قد حقق الموازنة الأشعرية الدقيقة التي قررها الإيجي في "المواقف" بصحة إثبات الأجرام العلوية مع نفي لوازم الحدوث عن الذات الإلهية⁽⁵⁵⁾.

إن هذا المسلك من ابن عرفة يعكس نضج مدرسة المغرب الإسلامي في عدم الانجرار خلف "السيولة التأويلية" التي قد تخرج الغيب عن كونه حقيقة موجودة إلى كونه مجرد رموز أخلاقية أو ذهنية، مما يجعل من تفسيره سداً منيعاً في وجه النزعات المعطلة للغيب⁽⁵⁶⁾

8-الخاتمة والنتائج:

في ختام هذه الدراسة التي تتبع آراء الإمام ابن عرفة الورغي في مسائل السمعيات الكونية من خلال تفسيره، والموازنة بينها وبين آراء المتكلمين والفلاسفة، خلص الباحث إلى جملة من الحقائق العلمية والنتائج التي تبرز خصوصية المنهج العقدي لهذا الإمام؛ إذ تبين من خلال البحث أن الإمام ابن عرفة يمثل مدرسة أشعرية محققة استطاعت الموازنة الدقيقة بين التمسك بظواهر النصوص الشرعية وإثبات مقتضياتها الوجودية، وبين التنزيه العقلي لخالق هذه الوسائط والوسائل، مما جعل من تفسيره سداً منيعاً في وجه النزعات التعطيلية التي حاولت إفراغ الغيب من محتواه العيني.

كما كشفت الدراسة عن وقوف الإمام ابن عرفة بحزم أمام محاولات الفلاسفة المشائين في "تجريد" عالم الملكوت؛ حيث أثبت "الجسمانية اللطيفة" للملائكة والجن مستنداً بالملازمات اللغوية والشرعية للنصوص، ومبيناً أن ذكر الأجنحة، والحركة، والنزول، والصعود، هي صفات تليق بأجسام متحركة في الخارج لا مجرد قوى معنوية أو عقول مجردة في الأذهان، وهذا المسلك التحقيقي مكنه من نقض مذهب "العقول العشرة" الفلسفي من منظور شرعي لغوي أصيل. وأظهرت النتائج أيضاً تميز ابن عرفة في إبطال تأويلات المعتزلة للأجرام العلوية كالعرش والكرسي، فبينما مالت المعتزلة إلى صرفها عن حقيقتها الوجودية إلى معاني مجردة، نجد ابن عرفة ينتصر لعينية هذه الأجرام مستنداً إلى آيات الحمل والعدد، ومعتبراً أن إثبات الحقائق الغيبية كما وردت في السمع لا يستلزم التشبيه بالمحسوسات، بل هو إيمان بالممكنات التي أخبر عنها الصادق مع تفويض كيفية حقيقتها إلى الله تعالى، وهو ما ينسجم مع أصول المدرسة الأشعرية المتأخرة في الغرب الإسلامي.

-التوصيات:

بناءً على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، يوصي الباحث بالآتي:

1. ضرورة التوسع في استخراج القواعد الكلامية والأصولية التي اعتمدها الإمام ابن عرفة في تفسيره، وبخاصة في مسائل الغيبيات، لما تمتاز به من دقة في التحرير والنقد.
2. إجراء دراسات مقارنة معمقة بين مدرسة الغرب الإسلامي في العقيدة (ابن عرفة أنموذجاً) وبين مدرسة الشرق الإسلامي (التفتازاني والجرجاني) للوقوف على مواطن الاتفاق والتفرد في المسائل الكلامية الدقيقة.
3. العناية بجمع وتحليل المسائل التي تعقّب فيها ابن عرفة الإمام الزمخشري في "الكشاف" من زاوية عقدية، لما في ذلك من إثراء للمكتبة العقدية الأشعرية، وتوضيح لكيفية توظيف اللغة في الرد على المعتزلة.

-قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الأبي، محمد بن خلف (ت 827هـ)، إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: محمد سالم هاشم، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م.
3. ابن سينا، الحسين بن عبد الله (ت 428هـ)، الإشارات والتنبيهات، تحقيق: سليمان دنيا، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).
4. ابن عرفة، محمد بن محمد الورغمي (ت 803هـ)، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م.
5. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، 1414هـ.
6. الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن (ت 756هـ)، المواقف في علم الكلام، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت: عالم الكتب، (د.ت).
7. التفتازاني، مسعود بن عمر (ت 793هـ)، شرح المقاصد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م.
8. الجرجاني، علي بن محمد (ت 816هـ)، شرح المواقف، تحقيق: محمد إسماعيل، القاهرة: مطبعة السعادة، (د.ت).

9. الزمخشري، محمود بن عمر (ت 538هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ.
10. الصاوي، أحمد بن محمد (ت 1241هـ)، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، بيروت: دار الفكر، (د.ت).
11. المخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م.

الهوامش:

- (1) ينظر: ابن عرفة، محمد بن محمد الورغي، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م، ج1، ص 150 (مقدمة المحقق).
- (2) التفتازاني، مسعود بن عمر (ت 793هـ)، شرح المقاصد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م، ج1، ص 42-40.
- (3) ينظر في أهمية الموازنة بين النقل والعقل في السمعيات: التفتازاني، مسعود بن عمر (ت 793هـ)، شرح المقاصد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م، ج5، ص 52-54. وينظر أيضاً: ابن عرفة، محمد بن محمد الورغي، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م، ج2، ص 150.
- (4) انظر في منهجية البحث في السمعيات: الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت 756هـ)، المواقف في علم الكلام، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت: عالم الكتب، (د.ت)، ج3، ص 337.
- (5) ينظر حول دراسة السمعيات عند الصاوي: الصاوي، أحمد بن محمد (ت 1241هـ)، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، بيروت: دار الفكر، (د.ت).
- (6) ينظر في أهمية المنهج المقارن في علم الكلام: التفتازاني، مسعود بن عمر (ت 793هـ)، شرح المقاصد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م، ج1، ص 44-46.
- (7) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت 756هـ)، المواقف في علم الكلام، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت: عالم الكتب، (د.ت)، ج3، ص 337.
- (8) ينظر: الجرجاني، علي بن محمد (ت 816هـ)، شرح المواقف، تحقيق: محمد إسماعيل، القاهرة: مطبعة السعادة، (د.ت)، ج8، ص 280.
- (9) السمعيات المعادية: هي المسائل المتعلقة باليوم الآخر من بعث وحساب وجنة ونار، وهي تختلف عن السمعيات الكونية الموجودة حالياً كالملائكة والعرش. ينظر: التفتازاني، مسعود بن عمر (ت 793هـ)، شرح المقاصد، ج5، ص 52.
- (10) ينظر: التفتازاني، مسعود بن عمر، المصدر السابق، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م، ج3، ص 332.
- (11) المخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م، ج1، ص 337.
- (12) ينظر: الأبي، محمد بن خلف (ت 827هـ)، إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: محمد سالم هاشم، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م، ج1، ص 42-40.
- (13) ابن عرفة، محمد بن محمد الورغي، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م، ج1، ص 15-12.
- (14) ينظر: ابن عرفة، المصدر نفسه، ج2، ص 150.
- (15) ينظر: ابن عرفة، المصدر نفسه، ج2، ص 150.
- (16) العقول المفارقة: هي كائنات روحانية مجردة عند الفلاسفة، زعموا أنها لا تحل في الأجسام ولا ترتبط بالمادة، وقد ردهم المتكلمون بأن هذا القول يؤدي إلى نفي ما أثبتته الشرع للملائكة من صفات الجسمية. ينظر: الجرجاني، علي بن محمد، شرح المواقف، ج7، ص 244.

- (17) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن، المواقف في علم الكلام، ج 3، ص 338.
- (18) ينظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج 1، ص 388.
- (19) ابن عرفة، المصدر السابق، ج 3، ص 351.
- (20) ينظر حول منع المجاز في السمعيات: الإيجي، المواقف، ج 3، ص 340.
- (21) التفتازاني، مسعود بن عمر (ت 793هـ)، شرح المقاصد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م، ج 5، ص 53.
- (22) ينظر في نقد تأويل الملائكة بالعقول: التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد، ج 5، ص 53.
- (23) ينظر: الجرجاني، علي بن محمد، شرح المواقف، ج 8، ص 280.
- (24) ينظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج 1، ص 388.
- (25) التفتازاني، شرح المقاصد، ج 5، ص 54.
- (26) ينظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج 4، ص 295.
- (27) ابن عرفة، محمد بن محمد الورغي، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م، ج 1، ص 346.
- (28) التفتازاني، مسعود بن عمر (ت 793هـ)، شرح المقاصد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م، ج 5، ص 66.
- (29) ينظر: الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن، المواقف في علم الكلام، ج 3، ص 342.
- (30) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج 4، ص 15.
- (31) ينظر: ابن عرفة، المصدر السابق، ج 4، ص 260.
- (32) الجرجاني، علي بن محمد (ت 816هـ)، شرح المواقف، تحقيق: محمد إسماعيل، القاهرة: مطبعة السعادة، ج 8، ص 280-282.
- (33) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ج 13، ص 92.
- (34) ينظر: ابن عرفة، محمد بن محمد الورغي، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م، ج 4، ص 230.
- (35) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن، المواقف في علم الكلام، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت: عالم الكتب، ج 3، ص 340-341.
- (36) ينظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج 4، ص 120.
- (37) التفتازاني، مسعود بن عمر (ت 793هـ)، شرح المقاصد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م، ج 5، ص 53.
- (38) ينظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج 1، ص 346.
- (39) التفتازاني، شرح المقاصد، ج 5، ص 68-70.
- (40) ابن عرفة، محمد بن محمد الورغي، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م، ج 1، ص 388.
- (41) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن، المواقف في علم الكلام، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت: عالم الكتب، ج 3، ص 340. وينظر أيضاً: الجرجاني، علي بن محمد، شرح المواقف، ج 8، ص 282.
- (42) ينظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج 1، ص 389.
- (43) العقل الفعال: مصطلح فلسفي يقصد به الصادر العاشر عن الله عند الفلاسفة، وزعموا أنه هو القلم الذي يفيض العلم على النفوس البشرية، وهو ما رده المتكلمون. ينظر: التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد، ج 3، ص 263.

- (44) التفتازاني، مسعود بن عمر (ت 793هـ)، شرح المقاصد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م، ج 5، ص 53-54
- (45) ينظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج 4، ص 200.
- (46) الجرجاني، علي بن محمد (ت 816هـ)، شرح المواقب، تحقيق: محمد إسماعيل، القاهرة: مطبعة السعادة، ج 8، ص 282.
- (47) ينظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج 1، ص 12 (مقدمة المحقق)
- (48) ينظر حول مذهب الفلاسفة في الروح: التفتازاني، مسعود بن عمر (ت 793هـ)، شرح المقاصد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م، ج 3، ص 263.
- (49) ينظر: ابن عرفة، محمد بن محمد الورغي، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م، ج 2، ص 350.
- (50) التفتازاني، شرح المقاصد، ج 3، ص 310.
- (51) العقول العشرة: هي وسائل روحانية عند الفلاسفة زعموا أنها هي التي تحرك الأفلاك، وقد فند المتكلمون هذا القول لإثبات أن التدبير لله وحده عبر ملائكة مريدين. ينظر: الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن، المواقب في علم الكلام، ج 3، ص 338.
- (52) ينظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج 4، ص 200.
- (53) الجرجاني، علي بن محمد (ت 816هـ)، شرح المواقب، تحقيق: محمد إسماعيل، القاهرة: مطبعة السعادة، ج 7، ص 244-246.
- (54) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ، ج 1، ص 294.
- (55) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن، المواقب في علم الكلام، ج 3، ص 340.
- (56) ينظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج 1، ص 12 (مقدمة المحقق)

Cosmic Audible Matters according to Imam Ibn 'Arafah (d. 803 AH) through His Exegesis: An Analytical Study

Abstract

This study examines the issues pertaining to cosmic audible matters by exploring the views of Imam Ibn 'Arafah (d. 803 AH) on related questions and by identifying his theological methodology. The problem underlying this study arises from the need to elucidate the Imam's stance on how to engage with scriptural texts concerning the unseen and to respond to philosophical interpretations. The study aims to clarify Ibn 'Arafah's distinctive perspective on audible matters and to highlight his contribution to consolidating the fundamentals of faith. The research employs an inductive approach to trace relevant textual evidence and an analytical-deductive method to establish his positions. The study concludes that Imam Ibn 'Arafah adopted a moderate methodology characterized by adherence to the literal purport of the texts and affirmation of the existential realities of the unseen (such as the corporeality of angels and the reality of the *Ṣirāṭ* and the *Mizān*), while simultaneously negating both anthropomorphism and denial of divine attributes. The research recommends greater attention to Ibn 'Arafah's theological heritage and the activation of its educational role in reinforcing faith in the unseen. It further emphasizes that belief in audible matters constitutes a foundational pillar in building sound creed and rectifying human conduct.

Keywords: Audible Matters, Ibn 'Arafah, Exegesis, The Unseen, Angels, The *Ṣirāṭ*.